

الرسالة المحمدية صلى الله عليه وسلم

الإذخلة الطحا بالرفن

شعر





الأزمته الجبل بالرفض

الدكتور محمد صالح الأصيل

الأزمنة الجملية بالرفض



ش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الطبعة الأولى : ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م

موافقة اتحاد الكتاب العرب

رقم : ١٢١ تاريخ ١٣/٢/٢٠٠١

ورقم وزارة الإعلام ٥٠٣٧٧

الدكتور محمد صالح الأصيل دمشق - ص ب : ١٢٢٣٠ فاكس : ٦١٢٧٧٢٢

اختصاصي بأمراض العين وجراحاتها هاتف : ٣٣٣٥٥٨٥ - ٣٣٣٣٣٠٨

حقوق الطبع محفوظة

تصميم الغلاف والخطوط : الأستاذ المفن أحمد المفتي
الرسوم الداخلية : من مصادر مختلفة انتقاها الشاعر



محمد

الشاعر في سطور

للاستاذ الباحث أحمد المفتي

صورة الشاعر بريشة صديق

الشاعرُ في سَطُور

○ ولد في البوكمال بتاريخ ٧/١١/١٩٤٦ م
من أبوين ولدا في العراق ، ويعود نسبه إلى
راوة التي ينسب أهلها إلى سيدنا الحسين بن
علي رضي الله عنهما كما هو في كتب
الأنساب .

○ درس الابتدائية والإعدادية والثانوية في بلدته البوكمال وكان أول طالب يدخل كلية الطبّ البشري من الذين نالوا الشهادة الثانوية من مدينة البوكمال نفسها .

○ حصل على الإجازة في الطبّ البشري من جامعة دمشق .

○ اختصّ في بريطانيا في جراحة العين وطبّها ونال عضوية الكلية الملكية سنة ١٩٧٩ .

○ من أوائل الذين قاموا بعمليات قطع الجسم الزجاجي والشبكية في سورية وتناولت أحاديثه وسائل الإعلام المكتوبة والمحكية والمرئية .

○ يمارس عمله في عيادته الخاصة وفي قسم
العيون التخصصي بالمركز الطبي الحديث
بمدينة دمشق .

○ عُرفَ الأصيل طبيباً ولكن اهتماماته
الأدبية والشعرية التي كان مفطوراً عليها ،
والتي نمت بكثرة المطالعة والكتابة جعلت منه
شاعراً وأديباً متميّزاً . وقد شد الناس بأحاديثه
في مجالسه الخاصة وفي البرامج الأدبية في
إذاعة دمشق .

○ كتب مئات القصائد منذ كان في الجامعة
ولكن لم توافه الفرصة للنشر فجمعها وأخرجها
في عدة دواوين بعد أن صار طبيباً .

□ من مجموعاته المنشورة :

١ - حدث أبو الفرج الطيب :

كتاب أدبي يشبه في أسلوبه مقامات
الحريري والهمذاني وبلاغة ابن
المقفع .
قدم له الأديب حسن حميد .

٢ - هذب القافية :

مجموعة غزلية كتبها خلال دراسته
الجامعية
وقدم لها الأديب أحمد المفتي .

٣ - تقاسيم على مقامات الوجد :

مجموعة في رثاء أهله وأحبائه ،
وتوجّع على مرابع صباه .

٤ - درّة الشهداء :

ملحمة في استشهاد الطفل محمد
الدرّة .

٥ - الأزمنة الحبلية' بالرفض :

مجموعة سياسية قدّم لها الأديب
الكبير حافظ الجمالي .

تتميّز مطبوعات الأصيل بالأناقة والجمال
ورفعة الذوق والتذوّق .

الاحمد ..

.. والكل الذين يحرمون

في للذمنة الحبي برضى ..

ضد السير ..

.. انفراد الحق

ولا تغريهم سلاطين الطين

بالقاء المرساة ..

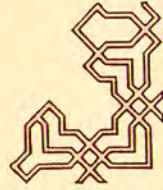
طباً لفظاً والناس



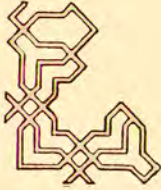
سَمَاتُ هَذَا الشَّاعِرِ
للأديب الكبير المفكر لفيلسوف الوزير د حافظ أبجالي

سِمَاتُ هَذَا الشَّاعِرِ

كان يجب أن أعرف الدكتور محمد صالح الأصيل ،
طبيب العيون ، المقيم في دمشق ، منذ مدة طويلة ،
لا أظن أنها أقل من ربع القرن ، ولا شك أنه معروف
لدى فئة الأطباء جميعاً ، ومعروف أكثر من ذلك لدى
الذين احتاجوا يوماً إلى علاج ما لعيونهم ،
وما أكثرهم بعد هذه السنين الطويلة ، التي عالج فيها
مرضاه ، فرضي عنهم ورضوا عنه .

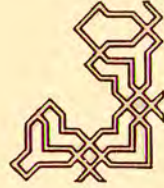


وأقول كان يجب أن أعرف هذا الرجل
- المفاجأة - الذي يعالج عيون الناس في النهار ،
خلال ساعات العمل اليومي ، ويتفرغ في الليل لنظم
الشعر ، وإنشاء أدب نثري ، يذكرني ، بالضرورة ،
بمقامات بديع الزمان الهمذاني ، ومقامات
الحريري ، ولو أنه يكتبها بصورة غير صورتيهما .
وكم أحب أن أفاجأ بعناصر كثيرة من شعبنا
السوري ، والعربي جملة ، كما فاجأني هنا من أكتب
عنه ، ذلك أنني بحاجة ، أنا ، وكل الناس ، كما



أظن ، لكي يفتح قلبي وقلوبهم ، لشيء من التفاؤل
ما أشد حاجتنا إليه ، بعد قرون طويلة ، من البؤس
والألم والتفجع والتشاؤم ، أحسب أن تاريخنا مفعم
بها .

ولقد عرفت الطبيب ، الأصيل ، بطريقة غير
مألوفة ، عادة ، ذلك أن الأستاذ الباحث ، أحمد
المفتي ، الذي كان هو أيضاً مفاجأة أخرى ، لا عندما
أرسل إلي قصيدة للدكتور الأصيل ، عنوانها :
درة الشهداء ، التي سمعها الناس من فم الأصيل



مباشرة منذ مدة قصيرة في المركز الثقافي شارع
« أبو رمانة » ، بل عندما اطلعت على تقديمه دواوين
شعر الدكتور الأصيل . . وعندئذ شعرت مرة أخرى
أنه لا يجوز أن توجد كفاءات متميزة لدينا ككفاءة
الكتابة والشعر ، أو غير هذه المواد ، وأن أظل
أجهلها ، أو لا أعرف أصحابها . فلتكن هذه
الكلمات شكراً أزجيهِ للأستاذ المفتي ، على أنه
فاجأني هو الآخر ، بحسن إنشائه ، وجميل أسلوبه ،
وشفافية شخصيته .



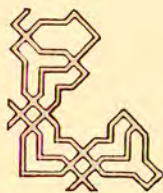
وعندما تلقيت هذه القصيدة وقرأت فيها مثل قوله :

« يا حاكمين بأمركم ، يكفي خنا
وكفى حكومات بلا حكماء »

لم أستطع إلا التساؤل عما كان في وسع هؤلاء
الحاكمين أن يقدموه لانتفاضة فلسطين ، وهم
لا يحكمون إلا شعوباً متخلفة ، بعقول ممعنة في
التخلف ، وبأساليب لا تزيد الشعوب إلا تخلفاً .



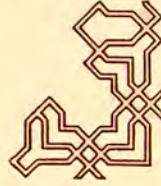
وعلى كل حال ، فإنه يسعدني أن أتعرف إلى أخوين
كريمين ، من حقهما أن يكونا عناصر طليعية .
ولنعد الآن إلى شيء آخر ، هو الديوان الذي نشرت
فيه هذه القصيدة . إذ لقد تكرم الدكتور الأصيل عليّ
وكلفني بشرف تقديمه ، على غير كفاءة مني في الكتابة
عن الشعر ، لأنني لست بشاعر ، إلا في بعض أبيات
صدرت ذات يوم ، إما عن عواطف وطنية مشتركة بين
جميع الناس ، وإما عن عواطف شخصية ، أفضل
- عدم الثقة - أن لا أنشرها إلا في ظروف نادرة جداً .



ومع ذلك سأتكلم على نفسي هنا ، في تقديم
الديوان الذي هو موضوع البحث . وأراني ، لو
كلفتم الأستاذ المفتي بهذا الأمر ، لكان أغناني عما
أفعل الآن ، ولكان أكثر جدارة مني فيه .

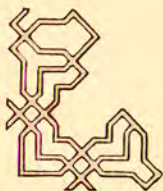
.....

وأبدأ الكلام بشيء هامشي ، ولكن لا بد من
الإشارة إليه هو أنني أهديت ديوانين آخرين للشاعر
الأصيل نفسه ، هما : هذب القافية ، ثم تقاسيم على
مقامات الوجد ، وأضاف إليهما كتاباً واحداً ، ليس



بشعر هذه المرة ، بل هو نثر ، لكنه يُفهم بسهولة من
خلال عنوانه ، حَدَّث أبو الفرج الطبيب ، وما هي إلا
فترة قصيرة ، حتى أُهديت قصيدة مستقلة أُبدئت
صفحتها الأولى ببיתי شعريهما :

« في القرن الرابع للميلاد
ألقي جند الرومان القبض على رُوحِي
قالوا : أتصلي ، مثل نبيّ
يؤمن بالتوحيد ؟ »



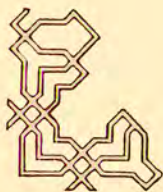
وأكد بعد هذا أن أتساءل :

ترى أيمر هذا الأسبوع ، دون أن أهدى ديواناً
جديداً ؟ أو قصيدة طويلة كالعادة ؟ والذي أريد أن
أقوله هنا ، هو أن أول سمات هذا الشاعر ،
الطبيب ، هو ميل واضح إلى الشعر ، ورغبة شديدة
فيه ، وقدرة عظيمة عليه ، حتى ليتساءل الإنسان :
ترى أن يكون في وسع الدكتور الأصيل ، إن يقلب
أي كلام يقوله من نثر إلى شعر دون كبير جهد ؟
أولا نتذكر عندئذ تلك المهارات الماثورة عن



الحريري التي كانت تَكْتُبُ الصفحة ، وتجعلها
مقروءة بصورة سليمة ، من اليمين إلى اليسار ، ومن
فوق إلى تحت ؟ .

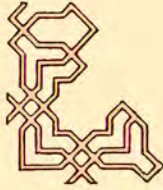
وحقاً فإن واحداً من دواوينه ، كُتِبَ في أيام
الشباب ، وآخر كُتِبَ كرثاء لأقربائه ، غير أن الفطرة
الشعرية ، تظل تبدو واضحة ، سليمة ، كما لو أن
الشاعر قادر على استخدام كل البحور ، متى حمل
نفسه على ذلك ، ليؤدي نفس المعاني في أي تفعيلة
يختارها ، وبنفس المستوى الشعري ، كما هو قادر



على استخدام أي تفعيلة يريدّها ، دون أي عناء ،
على طريقة القباني إن شاء ، أو على طريقة
الجواهري ، أو أي شاعر آخر ، حديث أو قديم .
وحقاً فإن شاعريته قائمة في دمه ، وتجعله ، متى
أراد ، أن ينظم بكل البحور ، وبأية تفعيلة يشاء ،
ويجعلها جميعاً في خدمة ما يريد أداءه من المعاني ،
مما يحملني على الخوف من أن تطغى « شاعريته »
على « طبيته » ، كما تطغى الفيضانات في هذه الأيام
على كل مدينة تقع في دربها .

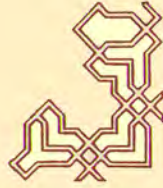


والسمة الأخرى لهذه الشاعرية ، هي المستوى
العالى لأسلوبها . فلا تكاد تعثر على كلمة هجينة ،
أو على المفردات الغريبة ، أو على التواء في
التعبير . وهكذا فإننا نجد أنفسنا أمام شاعر ، لا ينقاد
للغة العامية . ولا للأسلوب الصحفي ، ولا للكلام
المحكى ، فكأنه خُلِقَ ، من طينة خاصة ، يسهل
عليها البقاء في سماء الكلام العلوي ، بمقدار
ما يصعب عليه أن يقارب المستويات المحكية أو
العادية .



وربما تساءل الإنسان عن موقفه من الحادثة
الشعرية المعروفة لدى أدونيس ، أو فائز خضور ، أو
علي الجندي ! . . .

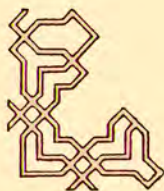
وجوابي أنا أنه ليس شديد التعلق بفلسفة الشعر
الحديث ، التي ترى أن الكلام الرمزي ، يكشف عن
حقيقة المعاني ، بدرجة أكبر بكثير ، من الشعر
التقليدي ، وبصورة أسمى أيضاً . ولاشك أن بين فن
الشعر الحديث ، والرسم الحديث ، علاقة وثيقة ،
تتعصب لأساليب الحادثة التي نراها تسود الشعر



الغربي الحديث (والفرنسي خاصة) كما تسود في
عالم الفن ، على طريقة بيكاسو وأكثر الفنانين
الحديثين وجوابي أنا أنه أقرب إلى لغة الشعر
القديم ، ومفرداته ، ولو أنه يستخدم ، كلما أراد ،
ما نعرفه من الصيغ الحديثة التي أصبحت الآن مألوفة
جداً .

وجوابي هنا . .

أن شاعرنا شديد التأثر بالعواطف الوطنية ،
وبالواقع العربي ، وأن همّه الأول ليس الغناء ، بل



ما يقع كل يوم في بلادنا ، وما يسودها من المآسي
المتتابة . وأكاد أُنَبِّأ أن شعره منذ الآن ، لن يكون
إلا من النوع الذي يتماهى مع واقع الأمة ، ويلتصق
بها أشد الالتصاق ، فلا مجال لديه إلا لسمو العاطفة
الوطنية ، وما هي فيه ، كل يوم ، من دواعي
البكاء . والشكاوى المرة . وما قصيدته التي سمعها
الناس ، في المركز الثقافي العربي بعنوان « درّة
الشهداء » إلا نموذج لالتزامه بأُمته وتأثره بما تعانيه من
فواجع وآلام .



وبالجملة فإن أفضل ما أقوله هنا عن الأصيل ،
هو ما قاله المفتي عنه ، عندما قدّمه للناس في عبارته
الرشيقة :

« صفاء في العبارة ، وقبس من
التراث ، وشعور متدفق وعاطفة
متأججة ، وحرقة لاذعة ، وحكمة بالغة ،
وَأَنَا تُ مُوجَّع يصاحبها نغم ناي حزين » .

حافظ الجمالي

البريد



قا



ن



ا

تانا
منق

ثالثاً

هَذَا زَمَنُ عَرَبِيٍّ
أَمْ مَوْتُ نَبِيٍّ ؟!
عَدْنَانُ حَاصِرَ قَحْطَانُ
وَيَهُودَا يَضْرِبُ فِي الْأَكْوَانُ

وَيَمُوتُ الْإِنْسَانُ
مِنْ قَانَا يُخْرِجُ جُثْمَانُ

*

*

*

يَا ثَائِرُ هَذَا جُثْمَانُ عَرَبِيٍّ
وَتَفُضُّ يَدَاكَ الْمِيثَاقُ
يَا ثَائِرُ هَذَا جُثْمَانُ عَرَبِيٍّ
يَصْرُخُ

يَبْكِي فِي الْأَعْمَاقِ
لَكِنْ مَاتَتْ فِي بَبْضِكَ أَجْرَاسُ الصَّوْتِ
فَالْمَوْتُ هُوَ الْمَوْتُ
بِيرِيزُ يَفُضُّ بَكَارَةَ تَارِيخِ ثَوْرِيٍّ
مِنْ قَانَا يُخْرِجُ جُثْمَانًا عَرَبِيٍّ

جُثْمَانُ صَبِيٍّ
جُثْمَانُ عَجُوزٍ مِنْ دُونِ الرَّاسِ
وَالنَّاسِ
مِنْ بَغْدَادَ وَحَتَّى فَاسٍ
فِي دَهْشَةٍ مَبْهُوتٍ
هَلْ قَدْ مَاتَ الْإِحْسَانُ
أَمْ أَنْتُمْ أَشْبَاحُ مِنْ دَاخِسَ وَالْغَبْرَاءُ؟! ..
هَلْ أَنْتُمْ فِي هَذَا الزَّمَنِ الْعَرَبِيِّ هَبَاءٌ؟! ..
مِنْ بَكْرٍ أَوْ تَغْلِبُ؟! ..
أَمْ أَنْتُمْ مِنْ عَبَسٍ أَمْ مِنْ قَيْسٍ؟! ..
وَشَهِيدُكَ يَا قَانَا مِنْ أَصْلِ يَمَنِئٍ
إِنْطَقَ يَا عَرَبِيَّ! ...

فَالْكَامِلُ ابْنُ صَلَاحِ الدِّينِ لَهُ ثَانِي
قَدْ مَدَّ يَدَا

صَوْتًا وَصَدَى
لِجُيُوشٍ تَذْبَحُ قَانَا
وَتُعِيدُ دَمًا ذِكْرَى فَرَّغَانَا

✱

✱

✱

قَانَا

يَا عِرْقًا يَنْزِفُ
يَا جُرْحًا يَرْعِفُ
قَصْفٌ وَدَوِيٌّ
مَوْتٌ وَنَعِيٌّ
وَبُكَاءٌ دَامَ

وأبو الشوار
 يَسْبَحُ فِي بَرَكَاتٍ مِنْ بِيرِيزُ
 يَتَعَمَّدُ مِنْ بِلْ
 يَتَعَطَّرُ بِالْقَحْطُ
 يَتَمَادِي ، يَشْتَطُ
 وَيُذَبِّحُ حَوْلَ الْهَيْكَلِ أَسْرَابَ الْبَطُ
 هَا قَدْ تَاهَتْ مِنْهُ الضَّفَاتُ وَتَاهَ الشَّطُ
 جَفْنُ مَشْدُودُ
 كَالِإِسْمِ الْمَمْنُوعِ مِنَ الصَّرْفِ
 وَعَلَى ثَغْرِ بَسْكَوْنٍ مَخْتُومِ
 كَجَوَابِ الشَّرْطِ

*

*

*

قَانَا
 عُرْبُونُ سَلَامٍ
 حُبٌّ وَوَنَاءٌ
 فِي لَيْلٍ أُبْرِمَ عَهْدُ وَفَاقُ
 وَنَشَامِي الْعُرْبِ تَسَاقَوْا كَأْسَ رِفَاقِ
 دَمَ قَانَا . . وَالنَّبْطِيَّةُ
 وَالْخَمْرُ دِمَاءُ
 طِفْلٌ مَبْتُورُ الْأَذْرُعِ
 وَنِدَاءُ
 وَنَشِيجٌ مَكْبُوتٌ
 وَخُوءٌ
 وَعَجُوزٌ فَاضَ بِهَا

فَانْهَالَ الدَّمَعُ دُعَاءَ
أَرْضٍ وَسَمَاءَ
أَكْوَامٍ بَيْنَهُمَا ، أَحْجَارٌ كَانَتْ مِنْ قَبْلُ بِنَاءَ
ظِلٍّ وَرَخَاءَ
صَارَتْ لِلْمَوْتِ شَوَاهِدَ أَجْدَاثِ
عُنْوَانِ بَلَى وَفَنَاءَ
هَذِي قَانَا
عُنْوَانِ رِوَايَةِ دَمٍ
بِجُنُوبِ بِلَادِي الْمَسْرَحِ
وَالْجُمْهُورِ . . . الْعَالَمِ
وَالْمُخْرِجِ شِيمُونَ
وَالْمُنْتِجِ صَهْيُونَ

مَتَفَرِّجَةٌ تُدْعَى أَمْرِيكََا

تَضْرُخُ

تَهْتَفُ

فِي ظِلِّ الْقَصْفِ

« الْعُنْفُ يَوْلَدُ عُنْفٌ »

وَالنَّاقِدُ مِنْ عَرَبٍ

أَبْدَى رَأْيَا

فَمَسِيرَةُ سِلْمٍ قَدْ تَكْبُو

يَوْمًا أَوْ يَوْمَيْنِ

شَهْرًا أَوْ شَهْرَيْنِ

لَكِنْ أَحَدٌ

قَدْ طَمَأَنَّنَا

أَنَّ الْحَلَ السَّلْمِيَّ يَسِيرُ حَيْثُ . . .
لَا شَيْمُونَ وَلَا قَانَا
أَوْ صَرَخَاتٍ بِقُرَانَا
أَوْ أَشْلَاءَ بِالنَّبْطِيَّةِ
لَا إِضْبَعُ طِفْلٍ ، أَوْ أُذُنًا لَصِيْبَةٍ
سَتَكُونُ الْمَانِعُ لِلْحَلَ السَّلْمِيَّ
شُكْرًا . . شُكْرًا . . يَا ثَائِرُ

مَوْسِقُ مَوْسِقٍ
فَالْجَوْفَةُ قَدْ كَمَلَتْ
وَأَنْزَا حِ سِتَارَ
وَأَبُو الشَّوَّازِ
قَدْ طَمَأَنَّنَا

لِلْحَلِّ السَّلْمِيِّ
 وَالْحُلْمِ الْوَرْدِيِّ
 فِي أَهْدَابِ النَّوْمِ
 رَنَمٌ يَا مَكَاوِي وَتَعَلَّمْ فَنَّ الْعَوْمِ
 فِي بَحْرِ السَّاسَةِ قَبْلَ بُحُورِ الْعِشْقِ
 وَتَعَلَّمْ فَنَّ الْمَشْقِ
 الْمَشْقِ الْكَاذِبِ لِلْسَّيْفِ
 عُنوانِ الزَّيْفِ
 وَتَعَلَّلْ بِالْبَرْدِ الْقَرِّ
 وَتَعَلَّلْ بِالْحَرِّ
 وَارْكَبْ مَوْجَاتِ الصَّيْفِ
 فَعَلِيٌّ مَا أَرَدَاهُ الْحَيْفُ

مَا زَالَ يُؤَنِّبُكُمْ
وَالْكُوفَةُ مِنْبَرُ
يَا جَوَقَاتِ الدِّبَّةِ
يَا ثُلَّاتِ النَّهْبَةِ

✱

✱

✱

عَدْنَانُ حَاصِرَ قَحْطَانُ
وَعَلَى الْأَجْفَانِ
يَكْبُو حُلْمُ
وَيَتَوَّهُ وَفَاقُ
وَعَلَى الْأَحْدَاقِ
يَطْفُو غَيْمُ
وَيَضِيْعُ عِنَاقُ

وَعَلَى الْأَعْنَاقِ
يَعْلُو حَاجُّ
وَيَمُوتُ عِرَاقُ

* * *

هَذَا الزَّمَنُ الْعَرَبِيُّ
يَحْتَاجُ لِكَيِّ
يَحْتَاجُ لِبَتْرِ دَعِي
فِي أَيِّ مَكَانٍ ، وَبِكُلِّ مَكَانٍ
هَذَا الزَّمَنُ الْعَرَبِيُّ
يَحْتَاجُ لِسَيْفِ بَتَّارٍ . . . وَنَبِيٍّ
هَذَا الزَّمَنُ الْعَرَبِيُّ
يَحْتَاجُ لِنَفْطِ جَبَّارِ دَمَوِيِّ

يَحْتَاجُ لِشِعْرِ قَتَالٍ وَرَوِيُّ
فِيهِ الْمَوْتُ الْأَحْمَرُ
فِيهِ الرُّؤْيَا تَزْهَرُ
مِنْ جُثْمَانِ عَرَبِيٍّ فِي قَانَا
يَخْرُجُ
يُظْهَرُ
عَمْرُو وَعَلِيٌّ
أَخْفَادُ قُصَيٍّ



هَذِي قَانَا
عُنْوَانُ رِوَايَةِ دَمٍ
أَدْوَاءُ حَمَرَاءِ الْوَشْمِ

وَصَرِيحٌ يَمْشِي بِالْأَشْلَاءِ
ثَارَ الْمَقْتُولِ عَلَى الْقَاتِلِ
وَتَحَدَّى الْمَضْلُوبُ الصَّالِبُ
حَقْدٌ غَاضِبٌ
عَزْمٌ ثَاقِبٌ
يَصْرُخُ وَيَصِيحُ
إِنِّي لِلشَّرْقِ مَسِيحُ
إِنِّي لِلْعُرْبِ ذَبِيحُ

* * *

يَا رَمْسًا ضَمَّ شَهِيداً فِي قَانَا
رَنَّمْ
رَنَّمْ بِاللَّحْمِ نَشْرَحْ

واللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى
رُوحِي أَغْفَتُ
أَنْهَكَهَا الْكُفْرُ
رَنَّمٌ بِالْفَجْرِ
وَلَيَالٍ عَشْرُ
فَلَيَالِي الْعُمْرِ . . . قَدْ شَاهَتُ
أَنْهَكَهَا الْقَهْرُ
رَنَّمٌ بِالْكُرْسِيِّ
تَأَقَّتْ نَفْسِي
لِلِقَاءِ الرَّبِّ
مَا عَادَتْ تُجْدِي أَبْيَاتُ السَّبِّ
مَا عَادَتْ تُجْدِي فِي أَزْمِنَةِ النَّهْبِ

وَجُيُوشُ السَّلْبِ
وَضِيَاغُ الإِقْدَامِ
وَالْأَقْدَامِ
بِتَعَارِيَجِ الدَّرْبِ
وَوُلُوجِ الْمَشْرِقِ فِي الْغَرْبِ
حَسَنَاتُ الْمَاضِي يَمْحُوهَا مِنْ حَاضِرِهِ الذَّنْبُ

* * *

رَنَمٌ
رَنَمٌ ، عِنْدَ السَّحَرِ
رَنَمٌ بِالْإِسْرَاءِ
فَالْكُلُّ سَوَاءٌ
فِي عُرْفِ الْعَالِينَ

فَإِذَا وَعْدُ الْأُولَى قَدْ جَاءَ
أَوْ وَعْدُ الْأُخْرَى
سَاءَ وَجُوهَ الْغَازِينَ
حَجَرٌ وَحَدِيدٌ
وَعِبَادٌ ، بَأْسٌ مَاضٍ ، فِيهِمْ ، وَشَدِيدٌ
وَأَعَدُّوا خَيْلًا . . .
تُورِي قَدْحًا
وَجُنُودٌ
تَبْنِي عِزًّا
وَتُعِيدُ
تَارِيخًا حُرًّا وَمَجِيدٌ
تَارِيخًا بَعْضُ حَكَايَا مِنْهُ رَشِيدٌ

وَالْبَعْضُ وَلَيْدٌ
سَطْرًا وَأُمُتَصِمَاهُ
وَالسَّطْرُ الْآخِرُ لَا غَالِبَ إِلَّا اللَّهُ

* * *

رَنَّمْ بِالْإِسْرَاءِ
رَنَّمْ بِالْفَتْحِ إِذَا قَدْ جَاءَ
بَعْدَ الْمَنْفَى نَصْرُ اللَّهِ
فَأَنَا قَتَلْتَنِي الْآهَ
قَتَلْتَنِي أَشْبَاهُ الْأَشْبَاهِ
قَتَلْتَنِي ذِكْرِي كَأُفُوزَ
وَاللَّيْلُ الْمَمْحُورُ
بِعُبابِ الْيَأْسِ

وَفَرَاغِ النَّفْسِ
فَاعِيدُوا لِي يَا شُهَدَاءَ مِنْ قَانَا
إِيمَانِي . . . أَحْلَامِي
وَصَلَاتِي . . . أَيَّامِي
صَحْوِي
طُهْرِي
فَيْضَ الْمَاضِي
نَبْضَ الْآتِي
كُلَّ الْعُمُرِ
وَدَعُونِي أَصْرُخُ : قَانَا
جُرْحُ لَنْ أَنْسَاهُ
وَسَتَبْقَى ذِكْرَاهُ

حَتَّى يَأْتِيَ فَتْحٌ فِي زَمَنِ ذَهَبِي
وَيَعُودُ الْفَجْرُ سَنِي
وَبِلَا خَجَلٍ أَشْدُو
عَرَبِيٌّ إِنِّي عَرَبِي
عَرَبِيٌّ إِنِّي
عَرَبِيٌّ

١٩٩٦





زمن الردّات

زَمَنُ السَّدَّاتِ

مَطَرَ الطُّهْرِ تَعَالَ . . .
تَعَالَ اغْسِلْ رَايِيَةَ الْعِشْقِ ،
فَأَوْزَارُ الْعُهْرِ بِهَا عَظُمَتْ
وَتَبَاطَأَ فَوْحُ الزَّهْرِ

نَمَا خَجَلًا
فَالْفَجْرُ
وَجَاءَ بِلَا فَرَحٍ
وَبِلَا قَطْرِ أَوْ أَيِّ نَدَى
وَالرَّدَاتُ نَمَتْ
كَبُرَتْ
وَأَبُو بَكْرٍ
سَيْفٌ
رُمَحٌ
دِرْعٌ
مَا زَالَ ، وَلَكِنْ
بَعْضُ النَّاسِ ، مُسَيَّلَمَةٌ ،

قَدْ أَفْرَغَ كُلَّ وَقَاحَاتِ التَّارِيخِ بِهِمْ
وَنَمَّا فِي زَمَنِ الْعُھْرِ عَلَى الْأَغْصَانِ ، نَمَّا
وَالرَّدَاتُ نَمَتْ
كَبُرَتْ
عَظُمَتْ

وَسَلِيلُ الثَّوَارِ بَكِي
رَابِئُ يَهُودَا أَرْدَاهُ ضُحَى
وَسَلِيلُ الثَّوَارِ بَكِي
فَرَفِيقُ الْفِكْرِ هَوَى
فَإِذَا كُوفِيَّةٌ كِذْبٍ وَعِقَالُ
تَعْنِي أَصْلًا
لُورَانْسُ إِذَا عَرَبِيٌّ

وَإِذَا مِيلَادُ يُعْطِي جَذْرًا
فَالسَادَاتُ إِذَا عَرَبِيٌّ
وَصَلَاخُ الدِّينِ شُعُوبِيٌّ
وَسَجَاخُ فِينَا مُلْهَمَةٌ
وَالكَذَّابُ نَبِيٌّ . . .

* * *

يَا أَنْوَرُ قُمْ
هَذَا زَمَنٌ نَبَتَتْ أَفْكَارُكَ فِيهِ رُؤْيَى
وَتَسَرَّطَنَ طُهْرُ الرِّفْضِ بِهَا
وَالرِّدَّاتُ وَمَا عَادَتْ رِدَّاتٍ
فَعَلَامَ الْبُطْءِ فَقُمْ
قَدْ مَتَّ ؟ ! . .

بَلَا تَمْنِ ؟ ! ..

كَأَنَّ

كَأَنَّ

أَخْلَامُ صَبَايَا اللَّدِّ وَتَلَّ الزَّعْتَرِ

وَالْدَامُورِ بَلِيلٍ قَدْ مُحِيتْ

قَانَا قَدْ رُسِمَتْ

وَالنَّبْطِيَّةُ فِي لَيْلٍ عَرَبِيٍّ مَثْقُوبِ

دَائِرَةٌ فِي مُعْجَمِ أَوْلَادِ يَهُوذَا

نُقْطَةٌ مَرَكَزَهَا قَدْ مُسِحَتْ

حَتَّى أَضْحَتْ فَاهَا مَدْهُوْشاً

عَجَباً

فالرَّدَاتُ غَدَتْ
 عَفْنًا يَنْمُو
 وَالْخِصْيَانُ فُحُولًا قَدْ صَارُوا
 هَذَا عُهْرٌ غَجْرِيٌّ
 قَدْ أَزْمَنَ فِي بَعْضِ النَّاسِ ، بِلَا خَجَلٍ
 قَدْ بَدَّلَ قَامُوسَ الْحُلُمِ
 وَنَامُوسَ الْحَقِّ
 بِمَقْرَدَةِ الْحَلِّ السِّلْمِيِّ
 دَلَالَاتِ اسْتِسْلَامٍ لَيْسَ لَهَا حَدٌّ
 وَأَبُو ذَرٍّ يُنْفَى فِي صَحْرَاءِ الرَّبْذَةِ
 رُغْمَ عَصَاهُ الثَّورِيَّةِ
 هَذَا زَمَنُ الثُّجَّارِ الْكَسْبَةِ

وَالْمَعْرِضُ كُلُّ التَّارِيخِ الْعَرَبِيِّ
رَأْسُ السَّبْطَيْنِ عَلَى الرَّفِّ الْأَوَّلِ
قَانَا فِي الرَّفِّ الثَّانِي
وَعَلَى الرَّفِّ الرَّابِعِ عَمُرُو بْنُ الْعَاصِ
وَمُعَاوِيَةُ فِي الرَّفِّ السَّابِعِ
وَوَلِيدٌ أَيْضاً وَرَشِيدٌ
عَبْدُ الْقَادِرِ لِلْبَيْعِ وَبِالْثَّمَنِ الْبَخْسِ
كَذَلِكَ عِزُّ الدِّينِ الْقَسَّامِ
وَعَلَيْكَ فِلِسْطِينُ سَلَامٌ

* * *

فَقَدْ أَجْتَمَعَتْ قِمَمٌ لِلْقِيلِ وَقَالَ

وجوابٌ من دونِ سؤالٍ
وقراراتٌ ليسَ بها أيُّ قرارٍ
وقعودٌ

وقيامٌ
وعليك فلسطينُ سلامٍ
يا ثائرُ هذا زمنُ الرّداتِ
زمنُ

نتنٍ فيه السيّدُ
يا سُومَ زمانٍ
نتنٍ فيه السيّدُ
ملكٌ ذو رائحةٍ؟! ..
نعمٌ وبلى

عَفْنُ

صَدَأُ

زِبْلُ هُمْ وَامْتَهَنُونَا

فَيْنَا الْأَخْطَاءَ وَلَيْسَتْ فِيهِمْ أَيُّ بَطُولَاتِ

نَرْفَعُ أَعْلَامَ الثَّوَرَاتِ

وَلَكِنْ ثَوَرَاتُ مَخْصِيَّةٍ

وَعَلَيْهَا مِهْيَاؤُ ثَوْرِي

هَذَا مَلِكُ الْمَخْصِيِّينَ جَمِيعاً

قَدْ شَوَّهَ أَفْكَارَ الثَّوْرَةِ

قَدْ خَمَدَ جَذَوَاتِ الْفَوْرَةِ

قَدْ فَضَّ الْمِثَاقُ

قَدْ سَلَّطَ كَفَّ نَتْنِ يَاهُو

وَعَلَى الْأَعْنَاقِ
وَالْمَخَصِيئِ الثَّانِي دَخَلَ الْمِيدَانَ وَسَبَّاقُ
لِكِنِّي أَبْصِرُ أَرْتَالاً تَتَلَطَّيْ
فِيهَا الثَّوَرَاتُ الْحَقُ
نَسَقاً
نَسَقاً
لَا مَخْصِيَيْنَ بِهَا
لَا ثَوَاراً كَسَبَهُ
لَا أَحَدًا قَدْ يَحْمِلُ بِنْيَامِينَ عَلَى الرَّقَبَةِ
لَا أَحَدًا قَدْ هَرُوَلَ لِلْخَلْفِ
وَلَا مَهْزُوماً فِي حَلَبَةٍ
كَالاً

كَلَّا

إِنَّ الْحِقْدَ الْغَاضِبِ آتٍ
وَأَبُو ذَرٍّ فِينَا مَا مَاتَتْ جَذْوَتُهُ

كَلَّا

كَلَّا

إِنِّي أُبْصِرُ أَسِيافاً

تَتَلَطَّيْ

تُورِقُ فَجْراً

تَمْحُو بِالْبَرْقِ بَقَايَا الرِّدَّةِ مِنْ وَجْهِ التَّارِيخِ

أَلْفُ صَلَاحٍ فِينَا يَنْبُتُ

*

*

*

مَاذَا ؟ ! ...

هذا مَنْطِقُ ثَائِرٍ !!!...

قَدْ قَرَأَ الثَّوَرَاتِ الْمَنْحُوتَةَ فِي التَّارِيخِ
وَجُغَرَفِيَّةِ الْأَشْيَاءِ

وَتَوَضَّأَ بِالْدَّمِ وَبِالدَّمِ
صَلَّى قَبْلَ الْإِقْدَامِ عَلَى حَدِّ السَّيْفِ

* * *

صِدْقاً قُلْتَ .. وَقُلْ : إِنِّي أَبْصِرُ أَجْيَالاً
رُغْمَ دَلَالَاتِ الْقَهْرِ
تَفُورُ

وَتَشْتَمِلُ الْغَضَبَ الْعَرَبِيَّ عَبَاءَةَ رَفْضِ
إِنِّي أَبْصِرُ أَنْهَاراً
قَدْ مُزِجَتْ

بِدُمُوعِ صَبَايَا تَلِّ الزَّعْتَرِ قَدْ مُزِجَتْ . .
 بِدُمَاءِ صَبَايَا قَانَا ، وَتَنَادَتْ
 طُوفَانًا قَدْ صَارَتْ
 لَا الْفُلُكُ سَيُنْجِيهِمْ
 أَوْ جَبَلٌ يُؤْوِيهِمْ (١)
 مِنْ غَضَبِ الشَّعْبِ الْحَاقِدِ
 أَوْ مِنْ قَدَرِ الرَّبِّ الْمَاجِدِ
 شَجَرُ الْغَرَقَدِ (٢) نَقَلَعُهُ
 غُضْنًا غُضْنًا

(١) كما قال ابن نبي الله نوح حين ناداه أبوه ليركب في السفينة سَاوِيًا إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ .

(٢) فقد ورد عن رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلوهم حتى إن الحجر والشجر يقول يا مسلم ورائي يهودي فتعال فاقتله إلا شجر الغرقد فإنه من شجر اليهود » .

وَالدَّشَمَاتُ نَذْكُ عَوَالِيهَا

حِصْنًا حِصْنًا

وَالْأَخْجَارُ تَصِينُ

يَا عَبْدَ اللَّهِ وَرَائِي بَعْضُ يَهُودَ

تَذْكُرُهُمْ قَانَا

وَعِظَامٌ قَدْ دُفِنَتْ فِي تَلِّ الزَّعْتَرِ

هَذَا قَدْ قَالَ مُحَمَّدُنَا

عَلِمَ الْإِسْلَامَ سَيَرْفَعُ

صَوْتُ الْفَتْحِ سَيَعْلُو

اللَّهُ هُوَ الْأَكْبَرُ

أيار ١٩٩٦





مَذْرَجَةُ النَّسُورِ

مَدْرَجَةُ النُّسُورِ

حُدُودُ الشَّمْسِ مَدْرَجَةُ النُّسُورِ
وَتَوَقُّكَ أَنْ تَكُونَ دُنَاكَ شَمْساً
وَمَا نَسَرَّا خُلِقْتَ ! . . .
وَلَكِنْ عَاشِقاً لِلْأَرْضِ صَبَّأً

تُرَوِّي تَرْبَهَا بَدْمَاكَ جَذْلِي
 فَمَا جَرَحُ الشَّهِيدِ سِوَى مُوَائِبَ مِنْ ضِيَاءٍ لِلْعُبُورِ
 فَمَا قَبْرُ الشَّهِيدِ كَمَا الْقُبُورُ
 وَلَا مَوْتُ الشَّهِيدِ سِوَى الْعُبُورِ
 عُبُورِ الْعَاشِقِينَ إِلَى حُدُودِ الشَّمْسِ مَدْرَجَةِ النُّسُورِ

* * *

« جَرَحُ الشَّهِيدِ فَمٌ »^(١)
 يَرَوِي قَصِيداً قَوَافِيهِ فِدَى وَدَمٌ
 مَوْتُ الشَّهِيدِ رُؤَى
 وَفِي الرُّؤَى إِنْ تَنَامَتْ يُزْهِرُ الْحُلُمُ

* * *

(١) من شعر الجواهري .

مَا تِلْكَ حَشْرَجَةً ، بَلْ إِنَّهَا نَعْمُ
يَا رَوْعَةَ الشِّعْرِ بَحْرُ رَاعِفٍ عَرْمُ
وَيَا جَلَالَ قَوَافِيهِ فِدَى وَدَمُ

* * *

يَا شُهَدَاءَ عَرَفُوا أَنَّ سُورَهُمْ سَحَرًا جِسْرُ عُبُورُ
نَحْوَ حَدُودٍ لَذَرَى النِّجْمِ
وَهَلْ دُونَ ذَرَى النِّجْمِ تَرَاهَا سَكَنْتُ مِنْ قَبْلُ نُسُورُ

* * *

أَشْهَدُ حَقًّا - وَجَنُوبُ شَهِدَتْ تَرْبَتُهُ -

إِنْ أَحَدٌ حَرَّرَ إِلَّا أَنْتُمْ . . .

أَشْهَدُ أَنْ لَا أَحَدًا أَشْجَانِي

أَشْهَدُ أَنْ لَا أَحَدًا أَغْرَانِي

أَكْتُبُ شِعْرًا

بِقَوَافِيهِ لَهَيْبٍ وَدَمٍ غَرَدَ . . إِلَّا أَنْتُمْ

* * *

يَا شُهَدَاءَ سَكَبُوا فَجَرَ صِبَاهُمْ نَذْرًا فِي قَانَا

مَرْجَعِيُونَ شَهِدَتْ

بَنْتُ جُبَيْلٍ أَيْضًا

كُلُّ ذُرَانَا

شَهِدَتْ مَوْتَ صِبَاكُم ، فَجْرًا

ظَهْرًا

عَصْرًا

وَاحْتَمَلَتْ سِرَّ دِمَاكُم لَغْمًا

حَرَّرَ فِي خَمْسِ لَيَالٍ وَكَفَتْ

قَيْدَ عُقُودٍ

وَدَنَا

كُلُّ شَهِيدٍ وَتَدَلَّى

قَمَرًا

أَبْهَجَ لُبْنَانَ ، فَصَارَتْ حُلُكُ اللَّيْلِ نَجُومًا ، وَبُدُورُ

يَا شُهَدَاءَ هَتَفْتُ أَرْضُ بِلَادِي فَرَحًا :

أَشْهَدُ حَقًّا - وَجَنُوبٌ شَهِدَتْ تُرْبَتُهُ -
إِنْ أَحَدٌ حَرَّرَ إِلَّا أَنْتُمْ

أيار ٢٠٠٠



يوسف الصّديق
وأبو عمار



يُوسُفُ الصِّدِّيقِ .. وَأَبُو عَمَّارٍ

يُوسُفُ الصِّدِّيقُ فِي طَيِّبَةِ أُمِّ فِي سِجْنٍ صَبْرًا ؟!
لَسْتُ أَدْرِي ! .
فَالزَّمَانُ الْمَرُّ يَجْرِي
يَوْمٌ ظَلَمَ يَعْدِلُ الشَّهْرَ ،
فَمَاذَا يَعْدِلُ الشَّهْرُ ؟ ! .. أَدْهَرَا ؟ ! ..

من قُرُونٍ
أَيُّهَا الصَّدِيقُ ،
ما زِلْتُ حكايانا سُجُونَا
وَنُكَافِي بالسجونِ الطهرَ غَدْرَا
للعزیزِ امرأةٌ قَدْ أَوْدَعَتْكَ السجَنَ قَهْرَا
ثم تَابَتْ
حينَ قَالَتْ :
إِنِّي مَنْ قَدْ أَرَادَتْ مِنْهُ سُوءًا
فَأَبَى سِرًّا وَجَهْرًا
فمَتَى قَدْ يَسْتَحِي قَاضٍ وَسَجَّانُ ؟ ! ..
أُمْ يَا تَرَى لَا يَسْمَعَانِ الْحَقَّ يَبْدِيهِ الْبَيَانُ ؟ ! ..

* * *

إِنَّ لِلَّهِ لَحُكْمًا

سَوْفَ يَجْزِي الْبَاغِيَ الظَّالِمَ يَوْمًا

* * *

يَا نَزِيلَ السَّجْنِ صَبْرًا ثُمَّ صَبْرًا
فَلَقَدْ أَنْزَلْتَهُ ظُلْمًا وَغَدَرًا
لَكَ فِي الصَّدِيقِ سَلْوَى
طَاهِرًا عَفَا صَدُوقًا
نَالَهُ الظُّلْمُ ،
فَبَاتَ اللَّيْلَ يَدْعُو . . .
رَبَّهُ الْقَادِرَ . . . سِرًّا

فَشَكَاةٌ مِنْ حُرُوقٍ
وَشَكَاةٌ مَلَأُهَا دَمْعٌ ،
وَبِثُّ ،
وَحَزَنٌ

فِي هَدْوٍ اللَّيْلِ يُزْجِيهَا الشَّجَنُ
فَتَعَالَتْ آهَةٌ فِي الْكُونِ تَسْرِي
فَأَجَابَ اللَّهُ :

عَوْنِي لَكَ يَا عَبْدِي ، وَنَصْرِي
تِلْكَ أَقْدَارِي . . . وَتَجْرِي
لَا يَرُدُّ الْأَمْرَ رَاذٌ

فِي بَحُورِي
أَوْ بَبْرِي

سِينَالُ الْبَغْيِ أَهْلَهُ
إِنْ يَكُنْ لِلظُّلَمِ صَوْلَةٌ
فَلْعَدْلِ الرَّبِّ صَوْلَاتٌ وَجَوْلَةٌ

* * *

يَا نَزِيلَ السَّجَنِ صَبْرًا
فَلَقَدْ أَنْزَلْتَهُ ظُلْمًا وَقَهْرًا
يَا أَبَا عَمَّارٍ صَبْرًا ثُمَّ صَبْرًا

دمشق تشرين ثاني ١٩٩٩







عُذْرُكَ لِمَقْبُولٍ
أَنْكَ لَسْتَ تَدْرِي مَا بِصَبْرٍ

كتب عصام من سجن صبرا :

إلى أخي الصالح

الدكتور الأديب محمد صالح الأصيل

جواباً لقصيدته « يوسف الصديق »

عُذْرُ الْمَقْبُولِ

أَنْكَ لَسْتَ تَذَرُ مَا بَصَّرَا

ما بصبرا؟!!

يا أخي الصالح يا ابن الأكرمين . .

ما بصبرا؟!!

تسألُ الروحَ وَيُضْنِيهَا الحنينُ

ما بصبرا ؟!
غيرَ أَنَاتٍ وظلمٍ . . غيرُ حَسْرَاتِ السَّجِينِ !!



سَنَةٌ فَاتَتْ وَجَاءَتْ أَخْتُهَا تَعْدُو
ولا أدري المصيرُ !
كلُّ هذا العالَمِ المأفونِ يدري
وأنا وحدي الأسيْرُ
أَيْنَ أَهْلِي
أَيْنَ مِنِّي مُهْجَةُ الرُّوحِ وبِستانُ الوفاءِ ؟!
أَيْنَ أولادي ؟!

وأصحابي ؟!

ورَهْطِي ؟!

أين جُهدي . . أين زندي . . أين سِقْطِي ؟!

أين ما قد كنتُ أبنيه لأحفادي

سياجاً من تعاليم السماء :

« كلُّ ما في الكونِ زائلٌ

كلُّ غيرِ الحبِّ

غيرِ الحقِّ ،

غيرِ العدلِ . . باطلٌ »

* * *

يوسفُ الصَّدِيقُ لَمَّا أُودِعَ السَّجْنَ ،
أخي صالحُ ، غَدْرًا
للعزیزِ امرأةٌ قالت :
أنا من أُشْرِبَتْ حُبَّ الْفَتَى
لكنْ عصاني

وجفاني . . .
وَدَعَتْ نِسْوَةَ الْحَيِّ فَأَكْبَرْنَ جَمَالَه
وتعلَّقْنَ جِبَالَه
والتمسنَ الحُبَّ لِلْمَرْأَةِ غُدْرًا
إنما المرأةُ تَابَتْ
وَأُنَابَتْ

« حِينَ قَالَتْ :

إِنِّي مَنْ قَدْ أَرَادَتْ مِنْهُ سُوءاً
فَأَبَى سِرّاً وَجَهراً »



وَأَنَا ، يَا أَخِي الصَّالِحَ ، فِي سَجْنِ الزَّمَانِ الْمَرِّ
فِي زَمَنِ اللُّهَاتِ
فِي زَمَانِ حَوَّلِ الْفَارَةِ سَبْعاً
وَالصَّقُورِ إِلَى بُغَاثِ
فَمَتَى الْمَظْلُومُ فِي أَزْمَنِ الْعُهِرِ ، وَالرَّشْوَةِ . .
هِيَ هَاتِ بُغَاثِ ؟ ! ! ! . .

نَسْجُوا حَوْلِي خُيُوطَ الْحَقْدِ
وَالْكَيْدِ قُيُودَا
وَاحْتَسَوْا خَمْرًا دِمَاءَ
وَأَقَامُوا حَفْلَ زَارٍ وَافْتِرَاءَ
وَعَلَى مَائِدَةِ الْحَقْدِ تَعَشَّوْا بِي عَلَى لَحْنِ الْبَغَاءِ
وَلَقَدْ طَابَ الشُّوَاءُ



عَتَبِي ، لَيْسَ عَلَى مَنْ أَلْبَسَ الْعُهْرَ جَلَابِيبَ الطَّهَارَةِ
وَالنَّقَاءِ
عَتَبِي ، لَيْسَ عَلَى مَنْ لَمْ يَعِشْ لِحِظَةَ حُبٍّ أَوْ وِفَاءِ

عَتَبِي ، لَيْسَ عَلَى الْجُرْذَانِ تَلَعُقُ مَا يُقَاءُ . .
عَتَبِي ، وَآهٍ ، عَلَى مَنْ كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّهُ خِلٌّ وَفِي
عَتَبِي ، حُزْنِي ، عَلَى مَنْ ظَلَّ يَخْدَعُ خَاطِرِي
وَيُشِيدُ بَنِي
عَتَبِي ، عَلَى نَفْسِي تَرَاحِمَ ، وَيْلُ أُمِّي ،
عندما أدركتُ أَنِّي كُنْتُ بَيْنَهُمُ الْغَيْبِي !!!

* * *

ما بصبرا ؟!
يا أَخِي الصَّالِحَ ،
يا سِبْطَ الْحُسَيْنِ
يا ابْنَ جَدِّي . . ذَلِكَ الْمَقْتُولِ غَدْرًا

مثلما تقتلني ، في كلِّ صُبحٍ ، نظرةُ السَّجانِ
يأْكُلُنِي الحنينُ

مثلما اغتالتْ يدُ الحقدِ الدفينِ
بسمَةَ الأُحبابِ : أولادي وأصحابي
وزَوْجِي

مثلما هدَّتْ يدُ الباغينِ بُرْجِي
مثلما اغتالتْ يدُ التَّينِ حُلَمَ العاشقينِ

* * *

ليس في صبرا ، أخي صالحُ ،
غيرُ أحزاني وَوَجْدي

ما بصبرا .. غيرُ قَرِي .. غيرُ بُرْدِي
ما بصبرا .. غيرُ حِيطَانٍ وقَضْبَانٍ أَنَادِيهَا
وحيدا

لَمْ يَعُدْ لِي يَا صَدِيقَ الْعُمُرِ
خَلَّ الرُّوحَ ، غَيْرِي
بِتُّ وَحْدِي ... وَشَرِيدَا

* * *

ما بصبرا ؟!
وَيْلُ نَفْسِي .. غَيْرُ حَبْسِي
وَيْلُ صَبْرَا .. ضَيَّعْتُ قَادِمَ أَيَّامِي وَأَمْسِي

ضَيَّعْتُ سِيفِي
وَأَقْلَامِي
وَأَشْعَارِي
وَتُرْسِي

مَا بَصِيرًا!!؟
غَيْرُ آهَاتِي ، وَأَنَاتِي ، وَأَوْجَاعِي
وَرَمْسِي !!

* * *

أَوْتَدْعُونِي ، أَخِي صَالِحُ ،
صَبْرًا!!؟

عذركَ المقبولُ أنَّكَ لستَ تدري
أَنني أضحيْتُ شاتِلا . . وَصَبْرا
بعدَ هذا . . كلُّ هذا . .

يا أَخي الصالِحُ ،

يا صالِحُ ،

تسألُ : ما بصبرا ؟!! .

ليل صبرا







لا حال سيدوم

لَا حَالَ يَدُومُ

وَصَدِيقِي طَالَ عَنِّي بُعْدُهُ
كَيْفَ أَنْسَى وَيْلَ قَلْبِي وَدَّهُ

غَيَّبَتْ أَيْدِي خَوْوِنِ أَنْسَهُ
عَنْ ثَلَاثَاءَ أَثِيرًا عِنْدَهُ

نَجْدُ خَيْرٍ إِنْ حَكَى أَوْ إِنْ شَكَ
قَدْ هَدَاهُ اللَّهُ خَيْرًا نَجْدَهُ

هل يزور الأنس يوماً صُحْبَةً
بعدهما حيناً أراها صَدَّةً

وخوونٍ قد صَفَتْ أَرْزَامُهُ
وصَدُوقٍ صارَ طِيناً وَرْدُهُ

لا تَغُرَّنَّ الليالي - حلوّة -
من يُعْطِي لُؤْمَ نَفْسٍ جِلْدُهُ

كَمْ عَلِيلٍ عَاشَ حِيناً مُدْنَفَاً
ثُمَّ أَضْحَى قَدْ تَعَافَى قَدُّهُ

وَصَحِيحٍ بَاتَ يَشْدُو سَالِماً
ضَمَّهُ فِي الصَّبْحِ قَهراً لَحْدُهُ

وَمَلِكٍ سَبَّحَتْ نُدْمَانُهُ
كُلَّ يَوْمٍ حَيْثُ تَتْلُو حَمْدَهُ

لَيْلُهُ عَزٌّ وَمَجْدٌ إِذْ بَدَا
جَاءَ صُبْحٌ فَتَهَاوَى مَجْدُهُ

أَيْنَ فِرْعَوْنُ وَمُلْكُ تَحْتَهُ
حِينَ نَادَى فِتْدَاعَى جُنْدَهُ

أَجْمَعَ الْكِدَ وَكِبْرًا عَالِيًا
فَتَخَلَّى عَنْهُ جَمْعًا كَيْدَهُ

صَارَ فِي الْيَمِّ غَرِيقًا هَالِكًا
ضَاعَ جُنْدٌ وَتَلَاشَى حَشْدُهُ

هُمْ بِقَاعِ الْيَمِّ صَارُوا جِيفَةً
وطفًا ، أَيَّ غَرِيقٍ ، وَخَدَهُ

عِبْرَةً أَنْجَاهُ جِسْمًا عَائِمًا
أَتَرَى أَذْرَكَ دَرْسًا عَبْدُهُ

وَعَزِيزٍ خَالَ نُعْمَى عَزَّهُ
دَوِّمَ دَهْرٍ ، وَأَمَانًا مَهْدُهُ

وَتَنَاسَى كَمْ عَزِيزٍ قَبْلَهُ
جَاءَهُ اللَّهُ بِذُلٍّ هَدَّاهُ

يَا صَدِيقِي قُمْ وَنَاشِدْ خَالِقًا
عَادِلَ الْحُكْمِ ، سَرِيعًا رُدُّهُ

مَنْ تَرَانَا يَا صَدِيقِي نَرْتَجِي
غَيْرَ رَبِّ لَا تُبَارِئُ أَسَدُهُ

عَاهَدَ الدَّاعِي نَفَاذًا لِلدُّعَا
مَنْ سِوَى اللَّهِ وَثِيقًا عَهْدُهُ

هَذِهِ الْأَيَّامُ تَبْدُو ظُلْمَةً
ثُمَّ يُبْدِي لَكَ ضِدُّ ضِدِّهِ

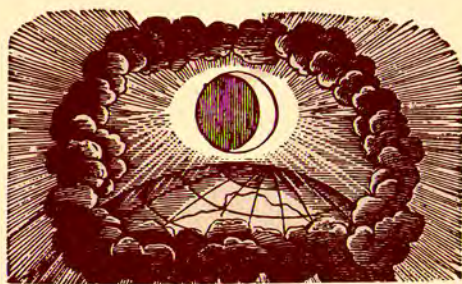
فَإِذَا اللَّيْلُ وَقَدْ طَالَ النَّوْءُ
يَنْجَلِي ، مِنْ ثُمَّ يُنْسَى سَهْدُهُ

وَإِذَا الْفَجْرُ وَنُورٌ وَاعِدٌ
مِثْلُ سَيْفٍ رَاخٍ يَنْضُو غِمْدَهُ

كَمْ أَسِيرٍ بَاتَ يَشْكُو لَيْلَهُ
فُكٌّ صُبْحاً لَشَكَاةٍ قَيْدُهُ

دمشق ٢٠٠٠ / ٦ / ٧







سُحُور
عَجِي
نَفَقَة

تَعَجُّبٌ! ..

عَجَبِي كَيْفَ يَنَامُ الظَّالِمُونَ؟! ..
أَقْلُوبٌ حَجَرٌ خَلْفَ الْعَيُونِ؟! ..

دمشق ٢٠٠٠ / ٦ / ٩





تقاسيم على وجع العِقد الخامس

تَقَاسِيمُ عَلَى وَجَعِ الْعَقْدِ الْخَامِسِ

دَوَّرَنْتُ النُّبْضَ عَلَى وَجَعِ الْعَقْدِ الْخَامِسِ

مِنْ عَمْرِي

وَعَزَفْتُ دَمِي . .

وَبَكَيْتُ بُكَاءً مُرًّا

إِذْ لَمْ أَرِ جُمْهُوراً حَوْلِي ،
قَدْ صَقَّقَ

أَوْ عَيْنًا بِحَنَانٍ ضَمَّتْنِي ! . .

فَأَبَى فِي الصَّبْحِ سَرَى ،
وَكَذَلِكَ أُمِّي سَحَرًا قَدْ رَحَلَتْ . .

وَبَحَثْتُ طَوِيلًا عَنْ عَمِّي
كَيْ يَسْمَعَ عَزْفِي مُنْفَرِدًا

لِيُوَاسِينِي

بِالنَّقْرِ عَلَى طَرَفِ الْكُرْسِيِّ

بِإِقْقَاعِ

يُشْجِنِي

أَوْ يُبْكِنِي

لكنِّي لم أرَ إلا صَمْتاً
أو أَسْمَعَ إلا لَيْلاً
فالموتُ طواهُ بعيداً عن عَزْفِي أيضاً . . .
فركبتُ سَفِيناً ،
أُبْحَرَ في أعْماقِ الحُزْنِ القادِمِ من قَلْبِي
بَحْرٌ طامٍ
لاخِ عصامٍ فيه بعيداً
وعصامٌ شاعرٌ صدقٍ من زمنِ الفُرسانِ . . .
هَوَى ! . . .
صَحْتُ : عصاماً ! . . .
لَمْ يَسْمَعْ
فالسجنُ بقاعِ البحرِ عميقٌ جدُّ عميقٍ . . .

وكذلك لم يرني
فأنا لا أملك ضوءاً

ضاع سراجي في عتَماتِ الحزنِ القادمِ من قلبي
وعصامُ ضاع سراجُ منه بذاتِ اللحظة ،
فالوجعُ الآتي من نبضِ الحزنِ لديه ،
كَبَخِرٍ لُجِّيٍّ أيضاً

طام . . . عِرمٍ
فكلانا أَبْحَرَ في يَمٍّ
لا نَجْمَ يُضِيءُ بِقُبَّتِهِ الحَلَكِي
أو نوراً عندَ حدودِ الأفقِ يُرى
وعصامُ مثلُ نبيٍّ خانتَهُ جماعاتُ الإيمانِ
فَيَهُوْذاً باعَ . . ويَصْلُبُ جندُ الرومانِ

وأنا باعْتَنِي أَيَّامِي
 لِلْهَمِّ وَلِلْحَزَنِ الدَّامِي
 لِلْيَمِّ بِلا ضَوْءٍ
 أو أشرعةٍ
 حُلْكَ تَغْشَى حُلْكَاً
 وَيَلُوحُ جَبِينُ حُسَيْنٍ جَدِّي ،
 بِدِرَافِيهِ سَيْوْفُ يَزِيدَ
 فَأُنَادِي :
 جَدِّي أَنْقِذْنِي
 مِنْ هَذَا الْيَمِّ الظَّالِمِ عَتَمَتُهُ . . .
 فَبَدَأَ قَمَرًا
 يَبْكِي دَمْعًا وَدَمًا
 أَلَمًا . . . حُزْنًا

فأنادي :
جَدِّي أنقذني من هذا اليمِّ ، ومن أيامي
أنقذني . . .
فيقول :
غداً ولدي . .
فاصبر يوماً ،
تظفر دهرًا ؛
هذا عُقْبِي قد طالَ على أسيافِ يزيدْ
ويزيدُ مضى تذروه الرِّيحُ هباءً منثورا
وأنا باقٍ ، وأبي ! . .
مهما قَتَلْتِ منّا أسيافُ الرِّدَّةِ
فلتَمَضِ . . .
بلا ضوئٍ أو أشْرَعَةٍ

ضَوْءُ الرَّبَّانِ الثَّائِرِ بَاصِرَةٌ

وَقَدْ . . . يَشْدُو حَقًّا

وَهُمَا إِرْثِي . . .

وَشِرَاعُ الثَّائِرِ سَالِفَةٌ

وَدَمٌ . . .

وَهُمَا إِرْثٌ لِأَبِي .

جَدُّ الْأَبْطَالِ عَلِيٍّ . .

قُمْ يَا وَلَدِي

أَبْجِرْ . . .

وَتَرَاءَى لِي ضَوْءٌ فِي ذَاكَرْتِي . . .

طِفْلٌ إِنِّي أَلْهُو فِي رَاوَةٍ ، بَيْنَ نَخِيلٍ أَثْمَرَ ،

ثُمَّ أَلُوذُ بِمَاءِ النَّهْرِ
فِرَاتٍ يَغْسِلُنِي
مِنْ حَرِّ الْقَيْظِ . . .
وَقَالَتْ لِي حَبَّاتُ الْمَاءِ الْجَذَلِي :
إِسْبَحْ ضِدَّ التِّيَّارِ
وَتَعَلَّمْ فَنَّ الرِّفْضِ
فَالثَّائِرُ مِنَ الْغِيِّ التِّيَّارِ حِسَاباً
إِذْ عَرَفَ الْحَقَّ الزَّاهِي أَلَقَاً
وَتَعَالَى فَوْقَ الرِّيحِ الْبَاطِلِ
يَبْحُرُ نَحْوَ ضِيَاءِ الْحَقِّ
فَلَا ظُلْمٌ يَتْنِيهِ ،
وَلَا قَهْرٌ . . .

وَتَهَادَى طَيْفٌ آخَرُ لِي
 بَيْنَ الْقَطْرَاتِ الْجَذَلِي ،
 ذَاتِ الْقَطْرَاتِ الْجَذَلِي ،
 بَفَرَاتٍ بِالْبُكْمَالِ تُسَائِلُنِي :
 هَلْ تَذْكُرُ رَاوَةَ ؟ ! . .
 قُلْتُ نَعَمْ . . .
 فَسَنِينَ مَرَّتْ إِثْرَ سَنِينَ
 قَالَتْ : هَلْ أَغْرَاكَ الشَّاطِي ؟ ! . .
 أَنْ تَسْكُنَ بَيْنَ الْمَاءِ وَبَيْنَ الطَّيْنِ ؟ ! . .
 فَأَجَابَتْ أَعْمَاقِي :
 أَنَّ ضِيفَاءَ حَبْلِي بِالْإِغْرَاءِ دَنَتْ مِنِّي
 تَدْرِي أَنِّي

ما أَغْرَتْنِي يَوْمًا
عن إِبْحَارٍ ضِدَّ التِّيَّازِ . . .
وسنينُ تَلَّتْ بدمشقَ
رَأْتُ صليبي ! . .
شَهِدْتُ قَتْلِي !! . .
ودهاقِنَةُ للطَّبِّ دَرَوْا
أني ما جَانَبْتُ الحَقَّ المَقْمُوعَ ،
ولا أَسْرَفْتُ . . .
ولكنْ
أَظْهَرْتُ العَيْبَ المَخْفِيَّ بِهِمْ
فَتَنَادَوْا صَفًّا مَجْمُوعًا
وتَدَاعَوْا كَيْدًا مَقْبُوحًا

وَأَتَوَا

فسهيلُ كطفلٍ فاجأهُ الإسهالُ ، بكى ...

وعطيلُ كبيرُهُمُ

ألقى خطباً

تُهُمَا

وتساقوا كأسَ وفاقٍ قَطَرَ دمي

لَمْ أَلْعَنُ أَوْ أَشْتُمُ أَحَدًا مِنْهُمْ

لَنْ أَلْعَنَ أَيْضاً

بل دَوَزَنْتُ النبضَ على عقدينِ ، وسبعَ سنينَ ،

رَثَيْتُ لَهُمْ ! ...

فتراءى لي جدِّي بَدْرًا من غيرِ سيوفٍ يزيدُ

يهمي ضوءاً وَيَزِيدُ

وبلاذُ الرومِ هي الأُخرى عَرَفْتُ
كم غانيةٍ أَغَرَّتْ
والمرأةُ إغواءٌ جدُّ خَطِيرُ
فالشاطىءُ وامرأةٌ ،
في الأزمنةِ الحبلى بالرفضِ ،
هما عبرَ التاريخِ مَقَاتِلُ كُلِّ البحارينِ . . .

وترأى لي جَدِّي أيضاً بَدْرًا أَلَقَا :
أبحرُ ولدي . . .

. . .

فوقفتُ كساريةٍ
ومعي حُلُمِي

أَأَرَى أُمِّي ؟ ! ..
وَأَبِي ؟ ! ..
جَمْهُوراً قَدْ صَفَّقَ لِي ؟ ! ..
أَأَرَى عَمِّي ؟ ! ..
يَشْدُو بَيْتاً مِنْ شِعْرِي ؟ ! ..
يُطْرِبُنِي .. وَيُوَاسِينِي ...
بِالنَّقْرِ عَلَى طَرَفِ الْكَرْسِيِّ
بِإِقَاعٍ ،
يُشْجِينِي .. أَوْ يُبْكِينِي ..
أَأَرَى بَدْرَ شِعْرٍ وَوَتَرَ ؟ ! ..
أَأَرَى هِنْدَافِي الْأُفُقِ قَمَرٌ ؟ !
أَيُضِيءُ اللَّيْلَ نَجُومُ سَهَرٍ ؟ !

وُسَائِلُنِي قَلْقِي :
مَاذَا قُلْتَ وَأَيَّ الْأَشْيَاءِ تَقُولُ ؟! ..
هَلْ أَغْرَتَكَ السُّكْنَى عِنْدَ الضَّفَاتِ وَبَيْنَ الطَّيْنِ ؟!

فَأَجَابَتْ أَعْمَاقِي :
لَا كَانَتْ أَحْلَامِي
إِنْ لَمْ تَكُ أَشْرَعْتِي سَالِفَتِي وَدَمِي
وَسِرَاجِي بِاصِرَتِي
وَبِحَكْمِ الرِّفْضِ الْعَاشِقِ . . . يَهْدِينِي
فَتْرَانِي أَبْحُرُ نَحْوَ حُدُودِ الْكَوْنِ ،
جَبِينِي دَقَّةُ إِبْحَارِي
أُلْغِي النَّيَّارَ حِسَاباً

فَوْقَ الرِّيحِ الْبَاطِلِ أَغْلُوْ ،
فَأَرَى جَدِّي يَأْخُذُنِي
وَبَشَوْقٍ يَحْضُنُ قَلْبِي الْمَرْهَقُ
بِذِرَاعَيْهِ الْمَلَأَى وَدَّأَ
وَذِرَاعَاهُ الْمُطْلَقُ

دمشق آب ٢٠٠٠



بدر وهند إشارة إلى قصيدة هند والسياب بديوان تقاسيم على مقامات
الوجع للشاعر .

تخلد تشكراً عن نكاح

السّاعرة الدكتور محمد صالح الأحيصیل

تقدیراً للمشاکلکم بکرم شہداء انتفاضة الأقصى المباركة
وعزاً فائداً بحسن بایکم، وجزاً للشعرکم فی رسم الصورة الحقّة
للشہید فی قصيدة درة اشہاء .
نقدّم هذه الشهادة بحسن صنیعکم راجين بکم العون ،
وسدّ الله خطکم علی طریق الحق .

المستشفى الخفایة للمهودة الاسلامیة الایلیة بپشت
المستشفى الخفایة
الکرم بکرم علی کرم



دره اشهداء

دُرَّةُ الشُّهَدَاءِ

مَا جِئْتُ أَزْثِي دُرَّةَ الشُّهَدَاءِ
هَلْ دُرَّةٌ تُنْعَى بَيْتِ رِثَاءِ

مَا جِئْتُ أَزْثِي دُرَّةَ الشُّهَدَاءِ
بَلْ جِئْتُ ، أَتْلُو نَعِيَةَ الزُّعَمَاءِ

مَا جِئْتُ أَرِثِي دُرَّةَ الشُّهَدَاءِ
بَلْ جِئْتُ أَرِثِي سَكَّتَةَ الرُّؤَسَاءِ

مَا جِئْتُ أَرِثِي دُرَّةَ الشُّهَدَاءِ
بَلْ جِئْتُ أَرِثِي خَيْبَةَ الْأُمَرَاءِ

مَا جِئْتُ أَرِثِي دُرَّةَ الشُّهَدَاءِ
بَلْ جِئْتُ أَشْكُو ضَيْعَةَ التُّجَبَاءِ

مَا جِئْتُ أَرِثِي دُرَّةَ الشُّهَدَاءِ
بَلْ جِئْتُ أَبْكِي نَخْوَةَ الْخُلَفَاءِ

مَا جِئْتُ أَرِثِي دُرَّةَ الشُّهَدَاءِ
بَلْ جِئْتُ أَبْذِي لَوَعَةَ الْأُدْبَاءِ

مَا جِئْتُ أَرِثِي دُرَّةَ الشُّهَدَاءِ
بَلْ جِئْتُ أَهْمِي دَمْعَةَ الشُّعْرَاءِ

مَا جِئْتُ أَرِثِي دُرَّةَ الشُّهَدَاءِ
بَلْ جِئْتُ أَنْعِي غَيْبَةَ الْأُصْلَاءِ

مَا جِئْتُ أَرِثِي دُرَّةَ الشُّهَدَاءِ
بَلْ جِئْتُ أَبْكِي دَوْلَةَ الْهَجَنَاءِ

مَا جِئْتُ أَرْثِي دُرَّةَ الشُّهَدَاءِ
بَلْ جِئْتُ أَحْكِي سِيرَةَ التَّفَهَاءِ

مَا جِئْتُ أَرْثِي دُرَّةَ الشُّهَدَاءِ
بَلْ جِئْتُ أَرْوِي سِيرَةَ الْبُلَهَاءِ

مَنْ صَدَّقُوا، وَتَدَافَعُوا، وَتَبَارَكُوا
بِاللَّمْسِ مِنْ رَابِعٍ بِاسْتِخْدَاءِ

الْمُنْعَمِينَ الْقَانِعِينَ بِذُلِّهِمْ
الْفَاعِلِينَ الْغَيِّ دُونَ حَيَاءِ

السَّاكِتِينَ عَنِ الصَّهَائِنِ ذِلَّةً
وَالصَّامِتِينَ الْآنَ صَمَتَ حِذَاءِ

وَالذَّابِحِينَ إِذَا تَمَلَّمَلْ شَعْبُهُمْ
وَالْخَانِعِينَ لِخَيْرِ بَرِضَاءِ

يَا حَاكِمِينَ بِأَمْرِكُمْ ، يَكْفِي خَنَاءُ
وَكْفَى حُكُومَاتِ بِلَا حُكَمَاءِ

هَبَّتْ شَوَارِعُ أُمَّتِي غَضَبًا ، بِهَا
حَزَنُ الْكَظِيمِ ، وَغَضَبَةُ الْحُلَمَاءِ

سَأْصُوغُ شِعْرِي وَاضِحاً عَرِماً بِلاَ
جُبْنٍ وَلَا خَوْفٍ مِنَ الرُّقَبَاءِ

يَا رَبِّ مُعْتَصِمَاهُ قَدْ نَادَتْ بِهَا
مَذْبُوحَةٌ ، لَمْ تَلَقَ رَجْعَ نِدَاءِ

أُمَحَمَّدٌ يَا دُرَّةَ هَتَفَتْ بِنَا
نَفْسِي فِدَاءً عَقِيدَتِي وَدِمَائِي

أَخْجَلْتَنَا بِطُفُولَةٍ عَظُمَتْ فِدَى
فَتَعَاظَمَتْ فِيكَ الْعُلَا بِعَلَاءِ

وَتَلَاثَ بِسْمَاءٍ قُدْسِكَ أُمَّةٌ
لِأُولَئِكَ بِشَهَادَةِ الشُّهَدَاءِ

يَا بَنَ اثْنَتَيْنِ وَعَشْرَةٍ ، يَا مَنْ لَهَا
تَسْمُؤُ الْمِئُونَ سِنِينَهَا بِنَاءِ

لَوْ كُنْتَ شَاسَ^(١) الْإِسْمِ كُنْتَ رَأَيْتَهُمْ
يَتَنَافَخُونَ حَمِيَّةَ بَرُغَاءِ

لَكِنْ وَأَنْتَ مُحَمَّدٌ فَتَقَنَّنُوا
قَتْلًا ، وَهُمْ مِنْ أَشْرَسِ الْخُبَرَاءِ

(١) شاس : كناية عن اليهود .

لَوْ كُنْتُ أَشْقَرَ أَوْ بَعِيْنِكَ زُرْقَةً
لَوَجَدْتُ «كُوفِي»^(١) أَوَّلَ الْخُطْبَاءِ

لَكِنْ أَبُوكَ وَأَنْتَ سُمْرٌ مِنْ هُنَا
فَالْهَذَا هُنَا قَبْرٌ بِدُونِ غِطَاءٍ

أُسْدًا تَرَاهُمْ مِنْ وَرَاءِ حُصُونِهِمْ
وَبِدُونِهَا هُمْ أَجَبُنُ الْجُبْنَاءِ

لُبْنَانُ هُمْ أَذْرَى بِمَا أُعْطِيَ لَهُمْ
ذُلُّ الرَّدَى لِلْكِبَرِ وَالْخِيَلَاءِ

(١) كوفي عنان : الأمين العام للأمم المتحدة .

جُنْدٌ لِحِزْبِ اللَّهِ أُسْدٌ لِلْوَعْيِ
قَدْ أَسْرَجُوا نَبْضَ الدِّمَاءِ لِفِدَاءِ

وَتَنَاشَرُوا فَوْقَ التَّلَالِ مَهَابَةً
أَصْمَتُ يَهُودَ فَصُبْحُهُمْ بَعْمَاءِ

فَتَزَلُّلُوا ، وَتَحَيَّرُوا ، وَتَخَبَّطُوا
وَتَسَاقَطُوا ، وَتَرَخَّلُوا ، لَوَرَاءِ

وَحِجَارَةِ الْأَقْصَى يُهْدِيهَا الْفَتَى
بِأَنَامِلٍ كَحَمَامَةٍ وَزَقَاءِ

حَتَّى إِذَا حَصَبَتْ وُجُوهُ جُنُودِهِمْ
كَانَتْ كَسِجِيلٍ رُمِي بِقَضَاءِ

يَا طِفْلُ يَا رَامِيَ الْحِجَارَةِ كُنْ لَنَا
كَمُحَمَّدٍ بَدْرًا بِذِي الظُّلُمَاءِ

يَا طِفْلُ عَزْمُكَ وَاقِفْ بِجَلَالِهِ
عَزَمَ الرَّجَالِ بِقُوَّةٍ وَمَضَاءِ

فَإِذَا تَخَاذَلَ بَعْضُنَا أَوْ كُنَّا
فَانْشَبَ جَبِينَكَ رَافِضًا بِإِبَاءِ

فَالْعَزُّ وَقَفَّةٌ صَادِقٌ وَشَهَامَةٌ
وَهُمَا أَخَا الْهَمَّاتِ بَعْضُ وَفَاءٍ

لِلْقُدْسِ نَهْجاً رَافِضاً بَصْرَامَةً
لِلذُّلِّ أَيَّاماً كَانَ بِاسْتِعْلَاءِ

يَا سِبْلُ إِنَّ تَغِبِ الْأُسُودُ تَكُنْ لَهَا :
فِيكَ الرُّجُولَةُ شَامَخَتْ بِنَمَاءِ

هَذَا زَمَانُ أَبِي رِغَالٍ خِصَّةً
وَالشَّرْمُ شَاهِدَةٌ عَلَى الشُّفَهَاءِ

الإِصْبَعَانِ وَكَانَ يَرْفَعُ مَالَهُ !؟
شُلَّتْ أَصَابِعُ مِنْ يَدِ شَلَاءٍ

مَاذَا جَنَيْنَا مِنْ عُقُودِ خَمْسَةِ
شَوْهَاءَ غَيْرِ سَخَافَةٍ شَوْهَاءَ

الْحُكْمُ ذَاتِي وَثُمَّ دُوَيْلَةُ
عَرْجَاءُ يَا لِلْمُنِيَةِ الْعَرْجَاءُ

خَمْسُونَ عَامًا يَنْتَحُونَ فَهَلْ بَدَا
أَوْ كَانَ غَيْرَ مَرَارَةٍ خَرْسَاءَ

خَمْسُونَ عَامًا يَخْصُدُونَ بِهَا الصَّدَى
حَصْدَ الْيَتِيمِ لِخَيِّةٍ جَرَبَاءِ

خَمْسُونَ عَامًا يُرْخِصُونَ دِمَاءَهُمْ
فَإِذَا الْحَصَادُ قَصَائِدُ الْخَنَسَاءِ

فَالشَّمْسُ حِينَ طُلُوعِهَا نَبْكِي الْأُلَى
وَبُكَاءُنَا الْأَطْفَالَ فِي الْإِمْسَاءِ

و« جَمَالُ »^(١) يَصْرُخُ هَاتِفًا وَبِحُرْفَةٍ
لَاذَ الصَّغِيرُ بِجَانِحِي وَرِدَائِي

(١) « جمال » : هو جمال الدرّة والد الشهيد الطفل محمد .

وَضَمَمْتُ قَلْبِي وَالْحَنَائِيَا فَوْقَهُ
أَحْمِي الْفَتَى مِنْ خِصَّةٍ حَمَقَاءِ

أَبْتِي . . أَصِبتُ . . وَقَالَهَا فَلْتَحْمِنِي
لَمْ أَستَطِعْ . . يَا حَسْرَتِي . . وَشَقَائِي

وَيَدُورُ فِي تَلْفَازِ أُمَّةٍ يَعْرُبُ
مُسْتَضْرِحاً عُرْباً لِبَعْضِ عَزَاءِ

مُسْتَنْجِداً بِأُخُوَّةٍ نُذِرَتْ لَهَا
شَيْمٌ أَعَارِيبُ وَمِنْ عَرَبَاءِ

وَرَأَى بِهِمْ أَمَلًا ، فَلَمْ يَجْنِ الرُّؤْيَى
وَجَنَى سَرَابًا هَاجَ فِي صَحْرَاءِ

قِمَمٍ يَنَامُ السَّفْحُ فِي أَرْجَائِهَا
فَمَتَى تَسَامَى السَّفْحُ لِلْعُلَيَاءِ

قِمَمٌ تُطَالِبُ أَنْ تَكُونَ حَكِيمَةً
فَزَيَّرَهَا مِنْ حِكْمَةٍ كُمُوءِ

وَحُرُوبِهَا بِبَلَاغَةِ رَنَانَةٍ
وَحَتَامِهَا بِوَصِيَّةِ عَوْرَاءِ

فَمَتَى مَتَى يَسْمُو لَهَا أَهْلُ الثُّهَى
فَتَكُونُ دَرْبَ الْوَقْفَةِ السَّمَاءِ

أَوْ مَا سَمِعْتُمْ طِفْلَةً^(١) فِي سَبْعِهَا
سَارَتْ بِعِزِّ «جَمِيلَةٍ»^(٢) وَ«سَنَاءٍ»^(٣)

(١) الطفلة : لم يتمكن الشاعر من حفظ اسمها فالخبر جاء سريعاً وتناقلته وكالات الأنباء ولم تصل بعد الصحف المصرية . . فالانفعال في الكتابة أسرع من الانتظار وهي طفلة مصرية لم تتجاوز السبع أعادتها قوات الأمن وهي تعبر بعد أن شاهدت الطفل محمد الدرة على التلفاز تريد أن تكون خولة بنت الأزور وتقتص من الصهاينة المجرمين . . براءة الطفولة وتصميم وإرادة .

(٢) « جميلة » : هي المناضلة جميلة بوحيرد الجزائرية .

(٣) « سناء » : هي الشهيدة سناء محيدلي التي قضت في جنوب لبنان أثناء عملية أفضت فيها مضاجع الصهاينة . .

تَبْغِي الْعُبُورَ لِحَزَّةٍ وَكَأَنَّهَا
أُسْطُورَةٌ تَقْتَاتُ بِالْأَنْوَاءِ

قَالَتْ : أُرِيدُ حِجَارَةً أَرْقَى بِهَا
لِسَمَاءٍ مَجْدِ الثَّوَرَةِ النَّجْلَاءِ

يَا سَبْعَهَا بَا حَتْ بِعَزْمٍ وَاعِدٍ
لِتَكُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ بَعْطَاءِ

يَا سَبْعَهَا قَدْ طَاوَلَتْ سَبْعِينَا
بَلْ جَاوَزَتْ بِالْبَدْعِ وَالْإِنْشَاءِ

أُمَحَمَّدٌ هُذِي وَأَنْتَ قَصِيدَةٌ
بِفَمِ الزَّمَانِ كخُطْبَةٍ عَصْمَاءِ

وَرُعَاةُ أَفْكَارِ الرَّدَى لَنْ يَمْلِكُوا
مَحْوًا لَهَا بِالْقَتْلِ وَالْإِلْغَاءِ

لَوْ مُكِّنُوا شَطَبُوا مُحَمَّدَ وَالسُّرَى
أَوْ أُطْلِقُوا أَلْغَوْا مَكَانَ حِرَاءِ

لَوْ خُيِّرُوا مَسَحُوا الْمَسِيحَ وَأُمَّهُ
وَمَضَوْا بِلَا عَيْسَى وَلَا الْعِذْرَاءِ

سُبْحَانَ مَنْ أَسْرَى بِأَحْمَدَ لَيْلَةً
لِتَكُونَ قُدْسٌ مُنْتَهَى الْإِسْرَاءِ

وَعَلَا مُحَمَّدٌ مِنْ مُبَارَكَةٍ إِلَى
سَبْعِ طَبَاقٍ زَانَهَا بِسَنَاءِ

مِنْ صَخْرَةٍ هِيَ قُبَّةُ الْأَقْصَى لَهَا
تَهْنُؤُ الْقُلُوبُ بِلَوْعَةٍ وَرَجَاءِ

يَا رَبُّ قُدْسُكَ وَالْبُرَاقُ وَمَسْجِدُ
أَسْرَى بِأَيْدِي طُغْمَةِ اللُّؤْمَاءِ

قَدْ دَنَسُوا مَسْرِي الرِّسُولِ الْمُصْطَفَى
جَرِيًّا وَرَاءَ خُرَافَةٍ خَرَقَاءِ

يَا رَبُّ فَانْصُرْ أُمَّةً ، مَقْهُورَةً
بَعْضُ الَّذِي تُعْطِي دَمٌ بِسَخَاءِ

وَحِجَارَةٌ قَدْ أُلْقِمَتْ أَفْوَاهَهُمْ
فَمَتَى يُلَقِّمُ دُبْرَهُمْ بِوَبَاءِ

فَيَعُودَ أَقْصَانَا مَنَارَةً قُدْسِنَا
حُرًّا بِلَا دَنْسٍ وَلَا دُخْلَاءِ

بِمُحَمَّدٍ يَا رَبُّ صِرْنَا أُمَّةً
وَصَفَّتْهَا بِالْخَيْرِ وَالْأَمْنَاءِ

فاجْعَلْ بِجَاهِ مُحَمَّدٍ شُهَدَاءَهَا
دَاءَ لَهُمْ ، وَلَنَا دَوَاءَ شِفَاءِ

يَا رَبُّ إِنَّ عَزَّ النَّصِيرُ فَكُنْ لَنَا
أَنْتَ النَّصِيرُ بِدَعْوَةٍ وَرَجَاءِ

يَا رَبُّ إِنَّ لَجَمْتُ ذُنُوبِي دَعْوَتِي
فاجْعَلْ شَفِيعِي حَوْبَتِي وَبَلَائِي

يَا رَبُّ إِنِّي أَسْتَجِي مِنْ دَعْوَتِي
فَاقْبَلْ شَفِيعِي خَجَلْتِي وَحَيَايِي

وَأَنْخْتُ فِي بَيْتِكَ رَحْلِي سَائِلًا
فَاقْبَلْ بِأَحْمَدَ ذِلَّتِي وَدُعَائِي

الشام ٢٠٠٠ / ١٠ / ٦





إِسْرَاءُ فِي الزَّمَنِ

إِسْرَاءُ فِي الزَّمَنِ

في القرنِ الرابعِ للميلادِ
ألقى جنْدُ الرومانِ القَبْضَ على رُوحِي ...
قالوا : أَتُصَلِّيْ مِثْلَ نَبِيٍّ
يُؤْمِنُ بالتوحيدِ؟! ..

مَلُّوا رَوْحِي بِالْقَهْرِ
وَشَدُّوا جَسَدِي
بِحِصَانٍ
يَعْرِفُ حَدَّ تَخُومِ الْمَوْتِ

قِرْنَانٍ مَضَتْ ،
يَحْدُوهَا الصَّمْتُ

وَأَنَا
وَحِصَانُ الرُّومِ
نَجُوبٌ فَيَا فِي الرَّبْعِ الْخَالِي
بِالْهَجْرَةِ أَمْعَنَّا مَرَّاتٍ نَحْوَ تَخُومِ الْمَوْتِ

وأنا باقٍ .. باقٍ .. باقٍ
وكذلكَ روحي
ما ماتتُ روحي

شفتايَ تَشَقَّقُ جلدُهُما عَطْشاً
وحصانُ الرومِ بَدَأَ ضَجِيراً

أُنَدَّتْ آيَاتُ مَكِّيَّةٍ

في تلكَ اللحظةِ كانَ الكونُ صَفَاءً مُطْلَقُ . .
وتَشَعَّشَعَ قلبي شَعْشَعَةً
شَاعَتْ

وَأَشَعَّتْ

بِشُعَاعِ عَلَوِيٍّ

فَالْكُونُ وَنُورُ صَارَا وَاحِدٌ . . .

فَالنُّورُ عَلَى نُورٍ قَدْ صَارَ دَلِيلًا

وَحِصَانٌ كَانَ يَحَاوِلُ أَخْذِي نَحْوَ تَخُومِ الْمَوْتِ

بِنَشْوَةِ مَذْهُولٍ

جُنَّتْ عَيْنَاهُ صَهِيلًا

صَارَ صَهِيلًا

أَسْرَجْتُ عَلَى هَذَا الصَّهْلِ سُورُجِي ،

صَارَ الصَّهْلُ فُتُوحًا

فِي عَقْدَيْنِ تَلَّتْ

وعلى أبواب دمشق ،
سَكَبْتُ يَقِينِي
ما عاد الرومُ هنا
فأنا قد صرت بديلاً
رَجَعْتُ وَزُقُ الروحِ
إلى أَيْكِ العمرِ المحزونِ
فالرومُ و فرسٌ ،
في عَتَمَةِ ليلٍ
طالَ قروناً
أَسودَ
فيه تَتَوَّهُ العَتَمَةُ
حَبَسُوا وَزُقَ الروحِ
أَمَاتُوا البَسْمَةَ

واللهُ أَرَادَ لِفَجْرِ أَنْ يَطْلُعَ
وَحَمَائِمُ رُوحِي تَشْدُو النِّعْمَةُ

.....

وَقَتَلْنَا الرِّدَّةَ

.....

لَكِنِّي وَعَلِيًّا قَتَلْتَنَا الرِّدَّةَ

.....

وَأَعَارَ حُسَيْنٌ لِلثَّوْرَةِ زِنْدَةً
حَزَّوَا رَأْسَهُ
وَتَقَاسَمَ أَوْلَادُ الْعَمِّ ضُلُوعِي
أَخَذُوا أَحْشَائِي
أَبْقَوْا جُوعِي

فابنُ « المتوكلِ » أعطى ضلعاً لابنِ « بُعَا »
وضلوعاً أربعةً لممالكِ
لا أعرفُهُمْ

والمُسْتَعْصِي باللهِ
كذلكَ أعطى بعضَ فقارِ مني
واستعصى بالحكمِ بإذنِ اللهِ

لم يبقَ سوى دمعٍ ، وسوى الآه

مَوْلَايَ ، فؤادي منذُ قُرونٍ ،
محزونٌ

لا يفرحُ يا مولاي

وبلا قَدَمَيْنِ ..

أَحَاوُلُ ... أَرْكُضُ

أَرْكُضُ .. أَرْكُضُ

هَرَباً مِنْهُمْ

فَلَقَدْ سُرِقَتْ مِنْي قَدَمَايَ

وَأَخَافُ عَلَى ثَغْرِي مِنْهُمْ

لَمْ يَبْقَ سِوَى ثَغْرِي وَنِدَائِي

لَمْ يَبْقَ سِوَى بَوْحِي

وَسِوَى شِغْرِي

وَرُؤَايَ

سَرَقُوا فَرَحِي
أُبَقُّوا تَعْبِي
يَا رَبَّ الشُّهُبِ

أُنْقِذْنِي مِمَّنْ يَقْمَعُونِي
بِالْحَكَمِ
وَبِالْحَبِ
وَبِالْعَتَبِ
وَيَدَاوِي عَطَشِي بِالْمَاءِ الْمَلْحِ وَبِالسَّغَبِ
أَنْقِذْنِي مِنْ رَائِحَةِ الْخَوْفِ ،
يَلَا حِقْنِي
يَا مُوَلَايَ بِلَا سَبَبِ

هذا وَطَنِي ، أَفْديهِ ، يُعَاتِبُنِي
جاءَ الرومانُ فماذا أَعْمَلُ
وَصَلَحُ غَيْبُهُ العُمُرُ ؟ !

نصبوا باباً في قدسٍ
صاحوا : هَذَا خَيْرُ

وتنادوا :

قَدْ غابَ عليٌّ
فليَنكِفِ الدَّهْرُ ! . . .

ما عادَ لدينا خيلٌ
قد يسرجها سَعْدٌ
أَوْ عَمْرُو

مَا عَادَ لَدَيْنَا أَرْضٌ
وَتَخَلَّى عَنَّا رَبٌّ وَسَمَاءٌ
إِذْ صَارَ صَهِيلُ الْفَتْحِ
لَخِيلِ الْفَتْحِ مُوَاءٌ

يَا رَبَّ عَنَاءِ اللَّيْلِ الْعَرَبِيِّ الْمَشْحُونِ
يَا رَبَّ هُمُومِ النَّاسِ الْمُقْهُورِينَ
وَرَبَّ بَكَاءِ النَّاسِ الْمَحْزُونِ
يَا رَبَّ تَخُومِ الْقَلْقِ الثَّوْرِيِّ
فَمَتَى يَأْتِي هَذَا الْقَلْقُ الثَّوْرِيُّ
إِلَهِي
يَا رَبَّ « الرَّعْدِ » وَ« نُونِ » ؟ ! . .

وطني ، وأنا مَصلوبانِ
بخارِطَةِ الأَيَّامِ
على مائِدَةِ الحُكَّامِ الأَصْنَامِ

فإِذَا صُمْنَا
وَإِذَا قُمْنَا
أَوْ نَمْنَا
فَبِإِذْنِ الحُكَّامِ
وَإِذَا جُعْنَا
أَوْ أُتُخِمْنَا
فَبِإِذْنِ الحُكَّامِ
وعطايَاهُمْ والإِنْعَامِ

قَدْ كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ تُحْصَى
فَالْحُبُّ وَنَبْضُ الْقَلْبِ
وَالْخُبْزُ وَرَائِحَةُ الْخُبْزِ
وَالْعَشْقُ
وَالْمَوْتُ
وَالنُّوْمُ
وَالصُّوْمُ
وَالْهَمُّ
وَالْغَمُّ
وَتَرَانِيمُ السَّمَاءِ
وَمَنَاجَاةُ الْأَسْحَارِ
وَدَعَاءُ الْإِفْطَارِ

والسَّحَرُ وَزَاوُ
والظُّلْمَةُ وَالْأَنْوَاوُ
والأَقْمَارُ
والْأَسْفَارُ
وَالْعُرْيُ وَهَتَكَ سِتَارُ
وَحِجَابُ
وَالْجَلْبَابُ
وَالْإِطْنَابُ
وَالْإِيْجَارُ
وَالْإِعْجَارُ
وَالْإِنْجَارُ
وَالْإِعْمَارُ
وَالْأَعْمَارُ

بعضٌ من بعضِ عطاياهم
سبحان مَزاياهم
فإذا قد تقرأ قرآنًا
فاقرأ آياتِ أُولي الأمرِ الحكّامِ
أو حَسْبُكَ بعضُ الآياتِ مِنَ الأنعامِ

وَمِنَ الأنعامِ حَمُولَةٌ عَرُشٍ أَوْ فَرَشَا
آياتٌ مِنْ مُتَشَابِهٍ
أَمْ مِنْ مُحَكِّمٍ
هذا القرآنُ

وَمِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ
ومصيرُ الضَّأْنِ الذَّبْحُ

وَمِنَ الْمَعَزِ اثْنَيْنِ
وَالْمَعَزُ خُلِقْنَ لِنَطْحِ
حَرَسٍ وَجُنُودٍ

وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ
لِلْحَمْلِ وَلِلسَلْبِ

وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ
لِلْحَرْثِ وَلِلْحَلْبِ

هل هذا شَعْبُكَ يَا رَبَّ الْأَنْعَامِ
حاشا .. بَلْ هَذَا تَفْسِيرُ الْحُكَّامِ

طاعونٌ في هذا التفسيرُ
وجذامٌ في كلِّ الأبواقِ
وطني كَرَقِيقٍ يُعْرَضُ في الأسواقِ
وَنُغْنِيَّ يحدونا الفخرُ
فلنا صدرٌ أو دونَ الناسِ لنا قبرُ

* *

وطني . . . وطني
إني مشتاقٌ
وطني . .
إني محمومٌ
أحتاجُ عِناقُ
علمني يا وطني مَوْتَ العُشَّاقِ

عَلَّمَنِي يَا وَطَنِي أَنَا
فِي الْأَزْمِنَةِ الْمَلَأَى بِالْقَهْرِ
نَمُوتُ ؛ وَنَشْتَاقُ

عَلَّمَنِي
فَأَنَا عِنْدِي مِنْ تُرْبِكَ
بَوْحُ يَا وَطَنِي
وَعَلَى نَبْضَاتِ الْقَلْبِ وَثَاقُ
وَطَنِي

يَا شَامَ الْعِشْقِ
أَنَا أَحْتَاجُ عِناقُ
فَدِّعِينِي يَا شَامُ عَلَى زَنْدَيْكَ
أَنَا وَأَشْتَاقُ

وَصِلِينِي ، يَا شَامَ الْعِشْقِ
وَدِفَاءَ الْعُمَرِ
صِلِينِي
أَوْ آتِيكِ بِحُكْمِ الْعِشْقِ
وَأَسْفَحُ نَبْضِي
ثُمَّ أَمُوتُ وَأَشْتَاقُ
هَذَا طَقْسٌ مَأْثُورٌ فِي دِينِ الْعُشَّاقِ
نَشْدُو
وَنَمُوتُ
وَنَشْتَاقُ

دمشق ٢٠٠٠ / ١٢ / ٧







المحتوى

مفت

المحتوى

الصفحة

تعريف بالشاعر	٩
الإهداء	١٧
تقديم بقلم الأديب الأستاذ حافظ الجمالي	١٩
الديوان	٣٧

الصفحة

القصيدة

١ - قانا	٣٩
٢ - زمن الردّات	٦١
٣ - مدرجة النّسور	٧٧
٤ - يوسف الصّديق . . وأبو عمار	٨٥

٥ - عذرك المقبول . . أنّك لست تدري ما بصيرا !	٩٣
٦ - لا حال يدوم	١٠٧
٧ - تعجّب !	١١٧
٨ - تقاسيم على وجع العقد الخامس	١٢١
٩ - درّة الشهداء	١٣٩
١٠ - إسراء في الزّمن	١٦٣
المحتوى	١٨٥



إنَّ أول سمات هذا
الشاعر ، هو ميل واضح إلى
الشعر ، ورغبة شديدة فيه ،
وقدرة عظيمة عليه ، فالفطرة
الشعرية ، تظل تبدو واضحة ،
سليمة ، كما لو أنَّ الشاعر قادر
على استخدام كل البحور ،
وبنفس المستوى الشعري ، فهو
أيضاً قادر على استخدام أي
تفعيلة يريد ، دون أي عناء ،
ليكتب على طريقة القباني إن
شاء ، أو على طريقة الجواهري



إن أحب ، فشاعريته قائمة في دمه ، هذه واحدة ، والسمة
الأخرى لهذا الشاعر ، هي المستوى العالي لأسلوبه ؛ فكأنه
خُلِقَ ، من طينة خاصة ، يسهل عليها البقاء في سماء الكلام
العلوي ، بمقدار ما يصعب عليها أن تقارب المستويات
العادية !! .

لست أدري أهو طبيب يقول الشعر ، أم شاعر يمتحن
الطب . . . فمن أي وجه نظرت إليه خيل إليك أن هذا الوجه طاغ
على الوجه الآخر .